خيـــارات حمـــاس في ظـــل الرّبيـــع العربـــيّ

بقلم: **ناثان ثرال، محلل في قسم الشرق الأوسط في مجموعة الأزمات الدولية**

كانت الانتفاضات العربية بالنسبة لحركة حماس بمثابة نعمة ونقمة في آنٍ واحد. لقد زادت الثورات العربية من حدّة التوتر مع إيران وسوريا، أكبر داعمان لها، وأسهمت في تعزيز علاقاتها مع حلفاء للولايات المتحدة الأمريكية مثل مصر وقطر وتركيا. وعمّقت الثورات العربية من التناقضات الداخلية والخلافات بين الدوائر المختلفة للحركة الفلسطينية الإسلامية.

قبل بدء موجة الاضطرابات، تمكنت حماس من إخفاء كثير من الاختلافات الكبيرة في وجهات النظر، والإبقاء عليها طيّ الكتمان، باستثناء فرصٍ قليلة هامة كانت تلوح لبعض قادتها في الأفق، ولم يكن التنافس حول الرؤى ضرورياً. لكن، وفي أعقاب موجة الاضطرابات التي ضربت المنطقة بين عامي ٢٠١٠-٢٠١١، وجدت حماس نفسها في بيئة متغيرة بشكل دراماتيكي حملت معها تحديات واحتمالات جديدة، بالإضافة إلى بروز أشكال جديدة من الاحتكاكات والتوترات بعيدة المدى.

بشكل عام، تعكس الأوضاع هذه وجود أربعة عوامل مترابطة وهي:

١- انتشار الحركة جغرافياً وحسابات قيادتها المختلفة، نتيجة للظروف المتغيرة في (غزة، السجون، الضفة الغربية، وفي الخارج).
٢- الاختلافات الأيديولوجية، على سبيل المثال لا الحصر، المتعلقة بتنوع التقييمات التي تتحدث عن أثر الاضطرابات العربية على حماس.
٣- الأدوار المتنوعة في أنشطة الحركة السياسية والعسكرية والدينية والحكومية.
٤- الخصومات الشخصية المبيّتة بين الأفراد.

ظهر الخلاف داخل حماس بشكل واضح وعلني على خلفية الموقف من المصالحة الفلسطينية، لأن المصالحة تعتبر أحد المطالب الرئيسة للفلسطينيين، وتمس العديد من التساؤلات الإستراتيجية

الهامة التي تواجه الحركة بما في ذلك الاندماج في منظمة التحرير الفلسطينية، والتحكم في السلطة الفلسطينية، ووضع القوات الأمنية في الضفة الغربية وقطاع غزة، وتشكيل إستراتيجية وطنية مع حركة فتح، وإنهاء اللعبة السياسية بين حماس وإسرائيل.

تعزى اختلافات حماس على الإستراتيجية الوطنية وتحديداً كيفية المضي قدماً في محادثات المصالحة بشكل أساس إلى التصورات المتناقضة عن التأثيرات في المدى المنظور للثورات العربية على حركة حماس. تشكلت هذه الرؤى نتيجة لتجارب مباشرة متميزة لقادة قطاع غزة، وحتى وقتٍ قريب، لقادة دمشق. تتطابق الهوة الإستراتيجية مع وجهتي النظر الرئيستين المتعلقتين بالمصالح المختلفة لكلا القيادتين.

وجهة النظر الأولى: لأن التغيرات الإقليمية تلعب إلى حدٍ كبير في صالح حركة حماس، على الحركة التمسك بمواقفها والانتظار حتى تضعف السلطة الفلسطينية وتتحسّن الأوضاع الاقتصادية في قطاع غزة، وتزداد قوة حلفاءها في المنطقة. **وجهة النظر الثانية:** على حماس اغتنام هذه الفرصة النادرة لاتخاذ قرارات صعبة قد تجلب لها مكاسب كبيرة على المدى البعيد.

يجد المجتمع الدولي صعوبة في الخيارات الأساسية التي تتبناها حركة حماس. وستواصل الحركة لعب دورٍ حيوي في السياسة الفلسطينية، مؤثرة بذلك على احتمال تجدد المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية واحتمالات نجاحها.

إعادة توحيد الضفة الغربية وقطاع غزة ليس أمراً مستحسناً فحسب، بل ضرورياً من أجل التوصل إلى حل دولتين. ويعني انفصال الأرض، إلى جانب العزلة الاقتصادية المستمرة على قطاع غزة، زيادة الصراع مع إسرائيل. ولهذه الأسباب وغيرها، فإن العالم -وتحديداً الغرب- مطالب بفعل شيء يتجاوز مجرد الوقوف موقف المتفرج، في الوقت الذي تصارع فيه حماس لتحديد مستقبلها.

بدلاً من ذلك، يتعين على الولايات المتحدة وأوروبا اختبار ما إذا كان بوسعهما اغتنام الفرصة التي يمنحها أحد التطورين ذا العلاقة: **الأول،** الصعود إلى السلطة (وتحديداُ في مصر) حيث تحرص الحركات الإسلامية على تحسين علاقتها مع الغرب وتتلهف إلى الاستقرار، والكشف

عن عدم رغبتها في جعل القضية الفلسطينية- الإسرائيلية أولوية لها. **الثاني**، النقاشات المكثفة داخل أروقة حماس فيما يتعلق بتوجهات الحركة.

فرصة ثالثة

ولكن، حتى لو كانت حماس عرضة للتأثير من قبل طرفٍ ثالث، على الغرب ألا يتخطاها أو يبالغ في وصف نفوذها. الحركة الإسلامية في حالة من عدم اليقين والتقلب، ولكنها ليست على وشك التخلي عن مواقفها الأساسية. ومحاولة إقناعها القبول بشروط الرباعية (الولايات المتحدة، الأمم المتحدة، روسيا، الإتحاد الأوروبي) على هذا النحو أمر غير مطروح. ويتعين على الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي بدلاً من ذلك العمل مع مصر وأطراف أخرى معنية، لو لمرةٍ واحدة، لتحقيق تغييرات يتمخض عنها خفض حدة الخطاب وجعله ذا مغزى أكبر وتكلفة أقل لحركة حماس.

ويتضمن ذلك التوصل لاتفاق تهدئة أكثر رسمية مع إسرائيل بشأن غزة، وبذل الجهود للمساعدة في استقرار الوضع في سيناء، وذلك لخطورة الوضع سيما بعد الهجوم الذي شنه مسلحون متشددون على جنود مصريين في ٥ أغسطس من الشهر الماضي. والتأكيد، ضمن اتفاق الوحدة، على تفويض الرئيس محمود عباس بمهمة التفاوض مع إسرائيل بخصوص قضايا الوضع النهائي، والتعهد باحترام نتائج أي استفتاء شعبي يصوت فيه الفلسطينيون على الاتفاق الذي سيتم التوصل إليه.

في المقابل، يمكن لحماس الاستفادة من ضمانات إسرائيلية متبادلة بشأن التوصل إلى تهدئة في غزة، وتحسين الوضع الاقتصادي في قطاع غزة، والحصول على تأكيد من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي على أنهما سيتعاملان مع حكومة وحدة وطنية تنفذ هذه الالتزامات.

تقتسم مصر- حتى في ظل حكم الإخوان المسلمين- مصالح مشتركة مع إسرائيل في كل ما ذكر أعلاه. فمصر تريد هدوءاً في غزة واستقراراً في سيناء، وهو ما يفسر قيامها بحملة عسكرية واسعة لملاحقة مرتكبي هجوم أغسطس الماضي. ويمكن أن تستفيد كذلك من استئناف المفاوضات تحت مظلة عباس، ما من شأنه أن يساعد في إزالة عقبة كأداء في طريق العلاقات الأمريكية المصرية وتحسين المناخ الإقليمي العام، وتمهيد الطريق أمام عملية سلامٍ جديدة. لماذا لا نحاول الاستفادة من ذلك؟

فـي الماضـي، فقد المجتمـع الـدولي البوصـلة مـرتين فـي نهجـه تجـاه حركـة حمـاس، مـرة بعـد الانتخابـات التـشريعية الفلـسطينية فـي ينـاير ٢٠٠٦، ومـرة بعـد اتفـاق مكـة عـام ٢٠٠٧، وتبنّـى سياسـات أفـرزت عكـس مـا كـان يتوقعـه تمامـاً. حيـث عـزّزت حمـاس مـن سـيطرتها علـى غـزة، ونـشبت بـين الحركـة وإسـرائيل حربـاً وجـولات مـن التـصعيد الخطيـر، ولـم تقـوّى حركـة فـتح، وتراجعت المؤسسات الديمقراطية في الضفة الغربية وقطاع غزة، وبات التوصل إلى اتفاق سلام أمراً بعيد المنال.

أمـا الآن، ومـع وجـود فرصـة ثالثـة سـانحة، ووسـط تحسينات كبيـرة فـي العلاقـات مـع الحركـات الإسلامية في جميع أنحاء المنطقة، يجب على الغرب أن يتأكد بأنه لن يُخذل مرة أخرى.